وداعاً حبيبنا

دكتور جورج

(٢٧ نوفمبر ١٩٣٨ – ٤ فبراير ٢٠٢١)

فؤاد نجيب يوسف

٢٠٢٣

www.coptology.org

كيف أجد الكلام لوداعك يا محبوب الرب ... الدكتور جورج حبيب بباوي، محبوب الكنيسة كلها الذي ألقى الربُّ عليه مسئولية إعلان الحق ليستعيد إنارة الطريق، عندما تكاثفت الظلمة جدًا ولم تعُد هناك معالم للمسير. "فقال لهم يسوع: النور معكم زمانًا قليلًا بعد، فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام. والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب" (يو ١٢:٣٥).

وقف كطودٍ أمام الإعصار الرهيب العاتي الذي ضرب كنيستنا القبطية بكل عنف... وقف يدفع الشر عن كنيسته بصدرٍ عاريٍ وكفين مجروحتين... وقف يواجه قوى الطغيان والظلم غير هياب بالعار... صار علامةً من علامات الطريق التي صححت مسيرة التاريخ! ثم رحل عنا بعد جهادٍ جبار "حاسبا عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة" (عب ١١:٢٦).

كان يسمع الصوت الإلهي موجَّهًا له بشكل شخصي هادرًا قائلًا:

- "فلنخرج إذا إليه خارج المحلة حاملين عاره" (عب ١٣:١٣).

- "طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين" (مت ٥:١١).

- "لأن المسيح أيضا لم يرضِ نفسه، بل كما هو مكتوب: تعييرات معيريك وقعت عليَّ" (رو ٣:١٥).

- "لأننا لهذا نتعب ونُعيَّر، لأننا قد ألقينا رجاءنا على الله الحي، الذي هو مخلِّص جميع الناس، ولا سيما المؤمنين" (١تي ٤:٩).

- "إن عُيِّرتم باسم المسيح، فطوبى لكم، لأن روح المجد والله يحل عليكم. أما من جهتهم فيجدف عليه، وأما من جهتكم فيمجد" (١بط ٤:١١).

الدكتور جورج حمل المسئولية، متحملا صليب العار خلف سيده، رافعًا حق الإنجيل، مدفوعًا بعِظم محبته للملك المسيح، حتى يعيد الرؤية ونور معرفة الحق للكنيسة القبطية، بعد مرورها بزمن خطير صارت فيه كلمة الرب عزيزةً، وغشى الحق ظلمات الجهل. فلأول مرة يُجرح إيمان الكنيسة بهذه الصورة!

في عام ٢٠٠٤ بدأت تظهر مقالات في مجلة الكرازة تحت عنوان اللاهوت المقارن. عندما قرأتها انزعجتُ جدًا، فالأمر يخص صميم وصحيح إيمان الكنيسة القبطية، الإيمان المسلَّم مرةً للقديسين. في ذلك الوقت توقعت أن يسرع أساقفة ومعلمو الكنيسة بعملٍ حاسمٍ لمواجهة الأمر حتى يمكن تصحيح الموقف وإعادة الأمور لنصابها. كنت أثق كل الثقة أن في الكنيسة القبطية مَن يعرف الحق الأرثوذكسي ويتمسك به، خصوصًا بين أساقفتها الذين بلغ عددهم ما يقُرب من ١٢٠ أسقف. وأيضا في الكنيسة أديرة عامرة بالرهبان، كنت أتصور حسب خبرتي القديمة أن مِن بين الرهبان مَن لديهم المعرفة الصحيحة باللاهوت مع التمسك الشديد بالإيمان الأرثوذكسي! لذلك توقَّعتُ أن يتحركوا كسابق عهدهم للدفاع عن الإيمان المسلَّم مرةً للقديسين!!! انتظرتُ، بينما كانت المقالات تتتالى مع كل عدد جديد تحمل في كل مرة صورًا كانت ترهق وتتعب الضمير المسيحي. بدأتُ أتكلم مع مَن حولي فوجدت أن قليلين جدًا هم مَن يقرءون، وأقل منهم مَن يهمهم الموضوع. أما مَن كانوا يدركون الخطر، فهم أقل من القليل، وهم صامتون بلا حراك، لا يملك أحدٌ أن يفتح فاه حرصًا على استمرار بقاءه في الكنيسة!

بدأتُ أُعد خطابًا لقداسة البابا لحرصي وخوفي عليه مما نُشِرَ من كتابات خطرة. لما أخذتُ رأيَ الإخوةِ فيما كتبت، حذَّروني من إرسال الخطاب حتى لا يكون الرد قرارًا بالحرم. قالوا، ألا تذكر ما حدث مع الدكتور سليمان نسيم الذي

كان صديقًا حميمًا للبابا، وهو مِن أكثر مَن قام بالدعاية للبابا أثناء الانتخابات البابوية، لكن بعد أن أصدر عدد مجلة مدارس الأحد في عام ١٩٩٢ يطالب فيه بالإصلاح الكنسي، كانت النتيجة أن عُزِلَ من المجلة، والبابا بنفسه كتب تصريحًا ضده في جريدة الأهالي بعنوان العدو!!! كنت أثق جدًا في علاقتي بالبابا شنودة، فكم تكلمتُ معه بصراحة شديدة.. تمنيت لو أستطيع السفر للقاهرة لمقابلته شخصيًا، إذ كنتُ أخافُ عليه مما كَتَب. إن ذلك يعرِّضه لخطر تدمير اسمه حتى بعد نياحته. فبعضٌ مما نشره من تعاليم حرَّمته المجامع المسكونية بنفس نصِّه خصوصًا قرارت مجمع أفسس المسكوني! كما تتعارض هذه التعاليم بشكلٍ صارخٍ مع الحرومات الـ ١٢ التي وقَّعها البابا كيرلس ضد نسطور! فالأمر خطير جدًا ويؤثر على البابا واسمه وسُمعته، بل وسُمعة الكنيسة القبطية بين كنائس العالم! لم يكن سفري للقاهرة ممكنًا في ذلك الوقت بسبب ظروف عملي. وأنا في حيرتي الشديدة وإحساسي بالعجز والتقصير نحو كنيستي وإيمانها، بل نحو البابا الذي تربطني به محبة قوية. وإذ بأصواتٍ خفيضةٍ وبعض الهمهمة المجهولة بدأت تُطالب بتصحيح ذلك الوضع الخطير. وما تعجَّبتُ له أن يقف بعض الأساقفة ممن كنت أتوقع منهم أن يقوموا بنصح البابا وتنبيهه للخطر، فإذ بهم يدافعون عن الخطأ اللاهوتي. أسئلةٌ كثيرةٌ حيَّرتني! هل هم بهذه الدرجة من عدم المعرفة بتعاليم الكنيسة الأساسية وإيمانها؟ هل ذلك ممكن؟ أم هم على علمٍ بالحقيقة، لكنهم يدافعون عن البابا باسم المحبة الكاذبة الغاشة؟! وهل هذه محبة كما يدَّعون؟! بينما المحبةُ تقتضي أن ننبِّه البابا لما هو فيه من خطر عظيم مؤثر على اسمه وتاريخه ومستقبله، بل على مستقبل الكنيسة وما يمكن أن يحدث بها من انقسامات خطرة.

وفيما أُعاني من زحام الأفكار وحدِّتها، مع الشعور بالمرارة لما أنا فيه من قصور، حيث أرى الحقيقة مع عجزي عن عمل شيء يمكن أن ينقذ الوضع الكنسي الخطير، إذ بصوتٍ قويٍّ مجلجلٍ يظهر هو صوت الدكتور جورج حبيب ليعلِن الحق بكل جسارة دون أن يخفي اسمه كالباقين. ومَن كان غيره يستطيع أن يتكلم بهذه القوة الجسورة والوضوح؟! إنه يتكلم بصفته أحد أعظم علماء اللاهوت الأرثوذكسي في العالم، مما لا يسمح معه أن يُخفي اسمه. كنت أتصور أن تاريخه العلمي يحميه من نزق الجهلة ومن تهور المتهورين!

في ذلك الوقت كان أبونا متى قد أُسكِتَ تمامًا، وكان قد بلغ من العمر والمرض درجة لا تسمح له بأن يقوم بجهدٍ إضافيٍّ ليواجه الوضع الخطير. يكفي ما نشره من كتابات غطَّت كل المواضيع الروحية واللاهوتية! لكن مَن يعي الحقيقة من القراء، ومَن عنده الوعي ليربط بين كتب أبونا متى وما تنشره مجلة الكرازة؟ حيث لم يكن هناك أي تعليم لاهوتي، وكان الشعبُ في جهلٍ كامل. حتى بين قراء كتب أبونا متى، الكثير منهم لم يكن عنده المقدرة على التمييز لإدراك خطر ما كان يُعرَض بمجلة الكرازة، حيث كان يُقدَّم كتعليم لاهوتي، وليس هناك مَن يميز! ومَن يستطيع أن يتجاسر ليعترض على تعليم البابا نفسه في ذلك الوقت؟

الطرف الثاني من الفاهمين هو الدكتور نصحي عبد الشهيد ومَن معه من علماء كانوا في ذلك الوقت تحت التهديد بالحرم! وحتى يستمر بقائهم في خدمة التعليم في ظروفٍ مستحيلةٍ خصوصًا من الناحية المالية، كان الصمت هو الحل الوحيد.

بكل أسفٍ وحزن، كان الشعب القبطي في جهلٍ كامل ونومٍ عميق، كما يقول القديس بولس: "ليس مَن يفهم ليس مَن يطلب الله" (رو ٣:١١). لكل ذلك

كان لوقفة الدكتور جورج في ذلك الوقت أهميةٌ كبيرةٌ، حيث كان هو المنقذ الوحيد من ورطة عظيمة سقطت فيها الكنيسة. فبالرغم من المحنة الكاملة، الله الذي لا يترك نفسه بلا شاهد كان يعرف كيف يشهد لنفسه وقت الظلمة، ويعرف مَن يختار حتى يشهد به! كم كان الربُّ يشهد لنفسه مرات بالمزدرى وغير الموجود، فاختار عاموس راعي غنم وجاني الجميز ليشهد له في وسط إسرائيل وكانت شهادته لله في غاية من القوة!!! في نفس الوقت اختار الله إشعياء وهو من النسل الملوكي من الطبقة الأرستقراطية، فهو من أعلى مستوى اجتماعي ومعرفي في زمانه. أمَّا في هذه المرة، فقد انطلقت الشهادة لله من أعلى مستوى علمي لاهوتي أكاديمي على الأرض بصوت الدكتور جورج حبيب بباوي، فهو أستاذ وباحث، وكان عميدًا لمعهد اللاهوت الأرثوذكسي بجامعة كمبردج، وأستاذًا بقسم الدراسات العليا بنفس الجامعة. اختاره الرب ليبطل فكر التجديف الذي تفشى في الكنيسة القبطية!

بدأ تواصلي مع الدكتور جورج بعد حضوره لأمريكا عميدًا لمعهد اللاهوت الأرثوذكسي بإنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية. فصارت بيننا صداقة حميمة. التقينا لأول مرة في مؤتمر بجامعة "تورونتو"، كلية "الهولي كروس" عندما دُعيتُ لتقديم دراسة حول القانون الكنسي. فكان لقاءً رائعًا تبادلنا فيه الكثير من وجهات النظر. الدكتور جورج إنسانٌ بسيط جدًا يحمل سمات العلماء من التواضع الجم والخُلُق الرفيع. دائمًا يستمع باهتمام ويشعرك أنه يتعلم منك وهو المعلم.

قام الدكتور جورج ومعه دكتور روبرت شو (على ما أعرف أنه عالم ومهندس كبير، كما أنه عالم في اللاهوت ودارس لتاريخ المجامع المسكونية وقوانينها بعمق)، فقام مع الدكتور جورج بتقديم نقدٍ للفكر الجديد الذي انتشر في الكنيسة القبطية مع عرض للمشكلة بالمقارنة مع نصوص قوانين مجمع أفسس. فعرضا دراسةً

قويةً واضحةً، مما كان له الأثر الحاسم في توضيح خطر الانحراف اللاهوتي في التعليم الجديد الذي تنشره مجلة الكرازة في تلك الأيام. وطالبا بضرورة التراجُع الفوري عن ذلك الانحراف مع تقديم الاعتذار العلني أمام الكنيسة. كانت رسالةً لاهوتيةً علميةً قويةً جدًا مدعومةً بمراجع لا تحتمل أي تشكيك، مُقنعةً لكل من يستخدم عقله. كانت نتيجة ذلك حاسمة، إذ توقفت مجلة الكرازة في الحال عن نشر مقال اللاهوت المقارن. وكم تمنيت أن يكون ذلك التوقف عن اقتناع وتنبُّه ورجوع للحقيقة! كل ذلك كان في عام ٢٠٠٤.

الرب يحمي كنيسته ويحمينا من شر إبليس عدو الخير، صانع الشرور عدو البشر جميعا، فهو لا يقبل بالهزيمة، خصوصًا أنه كان قد تغلغل في أعماق الإدارة الكنيسة، بعد أن بدأت مؤتمرات تثبيت العقيدة بالفيوم، التي نمت بعد نياحة أبونا متى المسكين. سرعان ما أوجد إبليس وسائل للتمادي في شره، إذ قام أحد الصحفيين بنشر مقال بمجلة روزاليوسف بعنوان "تكفير البابا شنودة"، عرض فيه بعض المقاطع المثيرة مما كتبه الدكتور جورج والدكتور روبرت شو، وطبعًا كان التركيز على الدكتور جورج، حيث لا سلطان لهم وللكنيسة القبطية على الدكتور شو.

نتيجةً للمقال اجتمعت لجنة شئون الإيبارشيات المجمعية بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية التي يرأسها الأنبا بيشوي، وأصدرت بيانًا رسميًا بتاريخ ١٤/٢/ ٢٠٠٧ وقع عليه تسعة أساقفة. البيان يحمل فقرات من المقال الذي نشرته مجلة روز اليوسف بعنوان "تكفير البابا شنودة" تم توزيعه على كل الإيبارشيات في مصر، مما أحدث هياجًا شعبيًا هائلًا. قام جميع أساقفة الكنيسة بالنشر في الصحف لتأييد البابا مما أشعل الحماس الشعبي للهجوم على الدكتور جورج بباوي بعباراتٍ فجةٍ، وبصورةٍ مُبالغ فيها جدًا، دون أن يعرف أو يبحث أحدٌ عن الحقيقة. لم يكن أحدٌ

يعرف مَن هو جورج بباوي، بل كان غير معروف حتى للكثير من الأساقفة مما ساعد على المغالاة في النفاق المجتمعي، فصدرت ضده أوصاف مضحكة، فوصفه الكثيرين بالبروتستانتي، لكن أحد الأساقفة أراد أن ينوّع في الاتهام فقال إنه يسوعي وتبيَّن أنه لا يعرف معنى يسوعي! فكان وقتٌ حافلٌ غنمت فيه الجرائد المصرية بنشر الإعلانات الضخمة من أموال الفقراء بكنائس مصر. إذ كانت الإعلانات تغطي عدة صفحات من أشهر الصحف المصرية وعلى مدى زمني استمر وطال جدًا.

وخُتِم الاحتفال بجمع توقيعات ٦٦ أسقفا على مدى أسبوع، مُهرت بتوقيع البابا ليصدر بها قرارٌ بفرز وعزل الدكتور جورج حبيب بباوي من الكنيسة القبطية. في مقدمة القرار يقول: "في صباح يوم الأربعاء ٢١ فبراير ٢٠٠٧ م. ناقش المجمع المقدس برئاسة قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ما قام الدكتور جورج حبيب بباوي بنشرة والتعليم به سابقًا وحاليًا". واضحٌ أن نص القرار تجنَّب أن يذكر أن المجمع قد اجتمع، حيث أنه لم يكن هناك اجتماع فعلي، فاستبدل ذلك بقوله ناقش! كيف ناقش دون أن يجتمعوا؟! واضحٌ أن القرار لم يتجرأ أن يذكر أي موضوع لخلاف لاهوتي، بل يذكر في عبارةٍ مقتضبة أنه "نشر تعاليم سابقًا وحاليًا في كتابات وتسجيلات صوتية مخالفًا للتعليم الأرثوذكسي السليم لكنيستنا"، ولم يكن ذلك هو السبب في قرار الحرم! بل يذكر أن السبب الرئيسي للقرار "أنه فرز نفسه بنفسه" مدعيًا أنه عزل نفسه بالانضمام للكنيسة الروسية ثم الكنيسة الأنجليكانية. ولما كان ذلك ادعاءً لا وجود له، لأنه لم يحدث أن انضم الدكتور جورج لأي كنيسة تاركًا كنيسته القبطية، وعليه يكون السبب الرئيسي الذي قام عليه قرار المجمع غير حقيقي، مما يُحتِّم بطلانه. واضحٌ أن القرار الذي صدر كان ضعيفًا جدًا فلم يتجاسر أن يعرض أيًّا من القضايا التي عرضها الدكتور جورج، بل

هاجم القرار أمورًا ثانوية! بينما تجنَّب القرار حتى الإشارة إلى كل تلك القضايا اللاهوتية والإيمانية الخطيرة المعروضة! ولم يضعها سببًا في قرار الفرز والعزل! ثم تم تثبيت القرار في جلسة المجمع المنعقد في ٢٦ مايو ٢٠٠٧.

لكن ذلك القرار المجمعي التاريخي الضعيف جدًا، كان يحمل تكليفًا إلهيًّا للدكتور جورج ليبدأ رسالته التعليمية المكلَّف بها من الله. الدكتور جورج لم يكن معروفًا على المستوى الشعبي، فكيف يقوم بهذا العمل الضخم جدًا الذي حقَّقه في السنين القليلة المتبقية من عمره؟ من خلال شعب لم يتلقَ تعليمًا لاهوتيًّا على مدى ٤٠ سنة، مغيَّبًا بالشعارات الضخمة التي يطلقها إعلامٌ مُضلِّلٌ يعمل على إيقاف استخدام العقل. لقد بدأ الدكتور جورج رسالته بتكليفٍ من الله عند صدور ذلك القرار المجمعي الضعيف، فنتج عنه عملًا قويًا مؤثرًا استطاع تحقيق أهدافه في تغيير فكر المجتمع القبطي وإنقاذه من هوة الجهل السحيقة التي سقط فيها.

كان التصريح المبدئي للدكتور جورج على هذا القرار وما صاحبه من مظاهرات إعلامية، أن دعا لندوةٍ علمية لاهوتية على مستوى دولي، تضم أساتذة اللاهوت الأرثوذكسي لبحث أوجه الخلاف بعيداً عن المهاترات الإعلامية. فلا يمكن طرح هذه الأمور ومناقشتها إلَّا على مستوى علمي متخصص لكي تتضح وتتقرر الأمور بشكلٍ واضح، ما لا يمكن تحقيقه على المستوى الصحافي. فكان ذلك التصريح أول ضربة للأسلوب الإعلامي الذي كان متَّبعًا في الكنيسة القبطية في ذلك الوقت، الذي كان يعتمد على الصحافة سواء الكنسية أو غير الكنسية، وأساليبها في طمس الحقائق، والتأثير المجتمعي ببث الشعارات والعبارات الفضفاضة. لكن مطلب الدكتور جورج كان مستحيلًا، لمتربصين يتصيدون الخطأ لكي يخفوا

فشلهم وعجزهم عن تحقق أي عمل بنائي نافع. لذلك يتصيدون الخطأ لمن يعملون حتى يخفوا فشلهم.

ثم قام الدكتور جورج بخطوةٍ أخرى علَّهم يفيقون مما هم فيه من إفلاس. فطالب بمحاكمته محاكمةً علنيَّة عما يُنسَب إليه من تعليم مخالف. وكان هذا الطلب العادل تعجيزٌ لهم. فمَن ذا الذي يستطيع أن يحاكمه ومَن منهم يستطيع أن يواجه ذلك اللاهوتي الأرثوذكسي العملاق. وإن كانوا لا يستطيعون محاكمته فعلى أي أساس حكموا عليه؟! إن ذلك يؤكد بطلان الحكم الذي وقَّعوه دون حتى أخذ أقواله. وبهذا الطلب صاروا في ورطة. لكنهم لا يخجلون، فكان تجاهل الأمر هو موقفهم الذي اعتادوا عليه كدليل العجز. ثم قام الدكتور جورج برفع دعوى قضائية أمام المحكمة الإدارية لإلغاء قرار عزله، حيث لم تؤخذ أقواله! دافعت الإدارة الكنيسة للكنيسة القبطية مع محاميها بدفعين؛ الأول عدم اختصاص المحكمة الإدارية بنظر الدعوى، حيث أن القرار شأن ديني لا مجال لنظره أمام المحاكم، والدفع الثاني أن جورج حبيب أصبح ليس لديه مصلحة في رفع الدعوى (ببساطة خلاص طردناه مش تبعنا).

وكان ردُّ المحكمة على الدفعين كالآتي:

– إن بطريركية الأقباط الأرثوذكس من أشخاص القانون العام، وهى تقوم على رعاية المرافق الدينية بحسبانها من الجهات التي تنهض بها السلطة العامة، وقراراتها والجهات التابعة إليها إدارية، ومن ثم قرار المجمع المقدس قرار إداري ينبغي النظر في شروط صدوره من حيث الشكل والاختصاص والسبب. (هذا الدفع تكرر مرات في قضايا سابقة)، ومجلس الدولة بشكل عام ينظر قضايا الأزهر والأوقاف.

المحكمة لا تناقش الجانب العقائدي، لكن تناقش ظروف صدور القرار وضمان حقوق من صدر ضده.

– وردَّت المحكمة على الدفع الثاني بأن قرار العزل من شأنه التأثير على الحرية الشخصية والعقيدة الدينية للمدعي (جورج حبيب) وإنشاء مركز قانوني جديد له مِن شخصٍ ينتمي إلى كنيسةٍ معينة إلى حرمانه من أي رابطة تربطه بالكنيسة، وبالتالي توفَّر ركن المصلحة في رفع الدعوى.

وقالت المحكمة في حيثيات الحكم: يجب أن تكون النتيجة التي ينتهي إليها القرار مُستخلَصة من تحقيقٍ تتوافر له كل المقومات الأساسية للتحقيق القانوني السليم، أولها مواجهة المتهم في صراحةٍ ووضوح بالمآخذ المنسوبة إليه، والوقائع المحددة التي تمثل هذه المآخذ، وأن تتاح له فرصة الدفاع عن نفسه، (حق الدفاع حق دستوري). وأضافت المحكمة: "لا يوجد دليلٌ على مواجهة المدعي –جورج حبيب– بالاتهامات المنسوبة إليه، وكان يكفي أن يوجَّه إليه إخطارٌ بالمثول للتحقيق فيما هو منسوبٌ إليه، وإذا امتنع عن الحضور يكون قد فوَّت الفرصة للدفاع عن نفسه، وهذا لم يحدث!

لذلك صدر حكم محكمة القضاء الإداري الدائرة الأولى بمجلس الدولة الصادر في الدعوى رقم ١٦٢٦٩– ٦١ ق. في ١١ يناير ٢٠١١ بإلغاء قرار المجمع المقدس للكنيسة الأرثوذكسية بفرز وعزل جورج حبيب بباوي من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لما نُسِبَ إليه من انحرافات لاهوتية وعقائدية تشوِّه فكر الآخرين.

وبدأ العبث يزداد بشكل مُتدني منفِّر حيث كانت تصل الدكتور جورج مئات الرسائل التي تتسم بالوقاحة على بريده الإليكتروني، مما اضطره أن يغير اسمه إلى "The little light" وأعطى عنوانه الإليكتروني الجديد لمن يثق فيهم فقط. فكان

النور الصغير الذي يستمد قوته من شمس البر نفسه الذي أنار كثيرين جدًا بنور المسيح، وصار متألقًا في وسط كنيسة الله يجتذب الكثيرين إلى معرفة الحق.

كل ما حدث كان إعدادا يدفع بالدكتور جورج ليبدأ العمل التنويري حسب الرسالة المكلف بها من الله، لإنقاذ الكنسية من هوة الجهل التي سقطت فيها في زمن الظلمة كان الهدف من كل تلك الأحداث هو تكليف الدكتور جورج حبيب بباوي برسالة من الله، "لا تخف، بل تكلم ولا تسكت"، قم سريعا للعمل المكلف به، لإنقاذ كنيسة الله مما أصابها من عطب فكري وإيماني دفع بالسفينة في اتجاهات خطرة، بَعُد بها عن مقاصد الله. هنا يلزم أن نقف لنتأمل ونتعجب من الوسيلة التي يستخدمها الرب في تحقيق مقاصده لإنقاذ كنيسته حسب وعده، "أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر".

أنشأ الدكتور جورج موقع كوبتولوجي لينشر منه نور المعرفة الروحية اللاهوتية غير عابئٍ بأغلبيةٍ كانت تسيء الظن به بما كان يُشاع عنه من أكاذيب. فلم يعبأ بكل ما يقال من منطقٍ مغلوط يسيء لاسمه. فمَنطَق روحه وحَزَمَ فكره، ليقدم خدمةً تعليميةً غنيةً حتى آخر نسمة في عمره، لشعبٍ متعطش جدًا في زمنٍ صارت فيه كلمة الرب عزيزةً. سارع ليقدم اللبن العقلي مع طعام الأقوياء لكل متعطش ولكل جائع للبر بحسب احتياج كل واحد. من ذا الذي يمكنه أن يقاوم تلك النعمة المنسكبة على شفتيه. لقد أعطى كل من طلب منه، حسب أمر الرب "كل من سألك فأعطه" (لو ٦: ٣٠). كم من اجتماعات تعليمية أقامها لكل من طلب منه بلا تردد. وكان يعطي من معين لا ينضب، حيث يأخذ من الرب ليعطي كل محتاج وكأنه يسمع أمر الرب لتلاميذه "أعطوهم أنتم ليأكلوا". صار مصدرًا غنيًّا للتعليم في الكنيسة القبطية، غير عابئٍ بالمقاومين، "ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع،

الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهينًا بالخزي، فجلس في يمين عرش الله" (عب ١٢:٢). وظل يعلِّم بلا توقف حتى وهو يمر بظروف صحية غاية في القسوة والصعوبة، عالمًا أن الوقت مقصِّرٌ، واليومُ قد قَرُبَ. كان مدركًا أنه يؤدي رسالةً مكلفٍ بها من الله، فكان يعمل على اكتمالها بكل أمانة بالرغم من كل المعوقات من حروب عنيفة، وظروف صحية مستحيلة.

ولما اكتملت رسالته حسب تدبير الله لكنيسته أبلغ الدكتور جورج تلاميذه أنها المحاضرة الأخيرة، وكأنه يقول مع يسوع: "قد أكمل"! "جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيرا قد وضع لي إكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم، الرب الديان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا" (٢ تي ٤:٧). ثم دخل بعدها مباشرةً لمرحلة الآلام الأخيرة، ولم تمضِ سوى أيامٌ قليلةٌ حتى غادر عالمنا بعد أن أكمل رسالته بكل أمانة، مدفوعًا بطاقة الحب الإلهي الفائقة التي أعطته مقدرةً هائلةً على التحمل.

الدكتور جورج كان رسالةً من الله أُعلنت لهذا الجيل، فقدَّم رسالته ذبيحة حب، بها مجَّد الله الذي يتمجد في قديسيه.

قبطي حقيقي أرثوذكسي لا غش فيه، نفسٌ انفتحت علي سر الرب يسوع المسيح، تمتَّعت بإله المجد الذي دعاها فتبعته ولم تمِل. لذلك صار غرسًا في جسد الرب مثبَّتًا فيه بعمق حتى توحَّد معه! مَن ذا الذي يستطيع أن ينتزعه من الكنيسة المثبَّت فيها كيانيًا؟! لا حَرمَ ولا سلطان كنسي ولا قوة على الأرض ولا في السماء يمكن لها أن تقوى على تلك العلاقة العضوية الكيانية، لتفصله عن الكنيسة المقدسة جسد المسيح. الجسد الذي أُهين بالتعليم الفاسد، يتمجد في تعليم الدكتور جورج، فبعد أن صار ثابتًا في كيان هذا الجسد استطاع أن يعبِّر عما يدركه في نفسه

بسهولةٍ، لأنه يرى ويلمس ويحس، لذلك يتكلم بالحق بوعي كياني ومعرفة باطنية متيقنة!

مساكين مَن يسيئون للتعليم المسيحي، فهم يجهلون الحقيقة المنفصلين عنها، فلا يعرفون ولا يرون، حيث ليس لهم به خبرة، فكيف يدركون ما هو غريبٌ عنهم؟ وكيف يؤمنون بما ليس فيهم؟ فقد فصلوا أنفسهم عن الجسد المقدس بإرادتهم! نعم بإرادتهم، بغطرسة وكبرياء السلطان وضعوا أنفسهم في موقع أعلى من الكنيسة! تصوروا أن هناك موقعًا يعلو، ففقدوا الرؤية بإرادتهم وباختيار موقعهم من المسيح وكنيسته! ترفَّعوا فوق كنيسة الرب، ففصلوا أنفسهم بإرادتهم عن الكيان المقدس الواحد والوحيد. "لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وآذانهم قد ثقل سماعها. وغمضوا عيونهم، لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم. ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع" (مت ١٣:١٥-١٦).

- "ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يُحكَم فيه روحيا. وأما الروحي فيحكم في كل شيء، وهو لا يحكم فيه من أحد" (١كو ٢:١٤-١٥).

- "وأما أنا فأقل شيء عندي أن يحكم فيَّ منكم، أو من يوم بشر. بل لست أحكم في نفسي أيضا. فإني لست أشعر بشيء في ذاتي. لكنني لست بذلك مبررا. ولكن الذي يحكم في هو الرب" (١كو ٤:٣-٤).

الكنيسة القبطية قبل الدكتور جورج بباوي ليست هي نفس الكنيسة، بعد أن قدَّم الدكتور جورج خدمته التعليمية! لقد رأينا عمل الله في رسالته التي بها أنار نفوسًا كثيرةً بمعرفة المسيح. قليلون هم من تركوا مثل ذلك الأثر الغائر على التاريخ

الكنسي! بالرغم من أن المجتمع القبطي لم يعرف الدكتور جورج إلا بعد أن توقع عليه الحرم من إدارة الكنيسة، وخلال تلك الفترة الزمنية القصيرة جدًا ترك الدكتور جورج ثروةً ضخمةً من كتاباته وشرائطه التعليمية لخدمة الأجيال، حيث تعتبر من أثمن ثمار خدمته في الكنيسة القبطية في مجال التعليم اللاهوتي.

الرب يعرف مواعيده بدقة!

الرسالة كمُلت بحسب التكليف الذي كلَّفه به الرب في الوقت المحدد! أنافورة مرفوعة أمام الرب!

وبعد أن أينع الثمر حان وقت القِطاف، ودنا وقت المغيب، بعد أن فجَّر نور الصبح في النفوس، فأضاء الظلمة التي غشت مجتمع الكنيسة القبطية وغطته بالجهل والفساد لزمن طال أحدث خسائر ضخمةً جدًا. ولما تفتَّحت البراعم فوق الأغصان مُزهرةً برائحة المسيح الذكية، ثم بدت باكورة الثمر الروحي، أُعلِن وقت الرحيل وزمن القطاف، "لأن الأرض من ذاتها تأتي بثمر. أولا نباتًا، ثم سنبلًا، ثم قمحًا ملآن في السنبل. وأما متى أدرك الثمر فللوقت يرسل المنجل لأن الحصاد قد حضر." (مر ٤:٢٨-٢٩). الكل يشهد بحلاوة الثمر، لذلك أُرسِل المنجل للحصاد.. ونُقِضَ بيت الخيمة الأرضي.. فذهب عائدًا لبيته الأبدي غير المصنوع بيد.

"نعمًّا أيها العبد الصالح والأمين! كنت أمينا في القليل فأقيمك على الكثير. أدخل إلى فرح سيدك"

مهندس

فؤاد نجيب يوسف